

تراث ■ منذ العام 2000، انكبّ «المعهد الفرنسي للشرق الأدنى» على مشروع «سيرة الملك الظاهر بيبرس بحسب الرواية الشامية». بدأ بنشر أجزائها في كتب صدر عددها الـ 12 العام الماضي، ويتم العمل حالياً على إصدار الجزء الثالث عشر

قال الراوي يا سادة يا كرام... الظاهر بيبرس في الحمرا

الرواية الشامية كانت لها محطة في أحد مقاهي بيروت. قبل أسبوعين، سرد شادي ابن أبو شادي رشيد الحلاق، الملقب بـ «حكواتي الشام»، قصصاً منها، وعرف الناس بالملك الظاهر وجوان وشيحا وغيرهم من شخصيات السيرة. يوماً، تجمّع جمهور تجاوز المئة شخص في مقهى «ة مربوطة» في منطقة الحمرا في بيروت لحضور محاضرة قدّمها أيّاس حسن وتناول فيها أهمية سيرة الملك الظاهر وتفاصيل نشر الجزء الـ 12 منها عبر «المعهد الفرنسي للشرق الأدنى» في بيروت (أوقف نشاطاته في دمشق، موطن السيرة، تحت وطأة الظروف الحالية).

وبعد المحاضرة، دخل الحكواتي شادي الحلاق، مرتدياً زيه الشامي التقليدي، فجلس على كرسي من خيزران وراح يروي مقطعاً من السيرة باللهجة الشامية، حاملاً ارت أبيه، «حكواتي الشام» الذي اشتهر بين 1990 و 2012 في مقهى «النوفرة» الواقع بالقرب من الجامع الأموي في دمشق. مقهى يبعد بضعة أمتار فقط عن قبر بيبرس في «المكتبة الظاهرية». استهل كلامه «عن الملك الظاهر والعلم الباهر والذيل الطاهر، من اشتهر بالعلم والدرس، الأصيل بالنعمة والغرس، محمود الخزرمي المكنى بركن الدين بيبرس، ومن اشتهر بخدمته الأفداوي ابراهيم سراج العذاري».

تماهى المقهى البيروتي مع المقهى الشامي حيث استمع الناس للحكواتي وتفاعلو مع السيرة التي تنصاع أحداثها، فحنم الحكواتي الجلسة في لحظة نزوة مشوقة قائلاً: «وهون يا سادة أودعنا الكلام».

لكن الحكواتي في بيروت لم يعد مألوفاً، والحكواتي الشامي يجد صعوبة في إيجاد مقام آمنة تجمع ناس الحارات والأزقة وتروي لهم تاريخهم بطريقة محببة، فمتى يا سادة نستعيد الكلام؟

هي مرحلة الحروب الصليبية. من ناحية أخرى، تقدّم الرواية الشامية للسيرة المرحلة المذكورة بعيون شامية و«من وجهة نظر أزقة الشام الشعبية»، كما يصفها الباحث أيّاس حسن. هنا تكمن أهميتها الكبرى. قراءة التاريخ والأحداث من خلال الروايات الشعبية يعطي للتاريخ نكهة الراوي ويظهر مزاجه وشخصيته.

يقول حسن: «لا يمكننا أن نصنّف السيرة كتراث محلي فقط، فكون أحداث السيرة تحاكي مرحلة شهدها العالم أجمع، فإنها تعتبر تراثاً كونياً للإنسانية». لذا يسعى المعهد لتقريب إصداراته من الناس وإدخالها في حياتهم اليومية. «قال الراوي يا سادة يا كرام» إنّ سيرة الملك الظاهر بيبرس بحسب

صدر عددها الـ 12 العام الماضي بينما يتم العمل حالياً على إصدار الجزء الثالث عشر. في إنجاز الجزء الثاني عشر، تعاون الباحثان جورج بوهاس وإيّاس حسن، فاستعانوا بـ «حكواتي الشام» رشيد الحلاق (فارق

تعاون جورج بوهاس وإيّاس حسن لانجاز الجزء الـ 12

الحياة في أيلول/ سبتمبر 2014) لفهم العبارات المحكية التي كانت تُستعمل في المدينة منذ أكثر من مئة عام. لنشر هذه السيرة أهمية كبيرة، فهي من ناحية توثق مرحلة تاريخية عاشها العالم وبلاد الشام،

وفي التسعينيات من القرن العشرين، بدأ البحث مجدداً عن نسخة كاملة للسيرة بهدف نشرها باللغة العربية هذه المرة، وسط استغراب النقاد لوجود سيرة بهذه الأهمية في اللغة الفرنسية فقط. توصل بوهاس الى نسخة شامية كاملة واشتراها عبر «المعهد الفرنسي للشرق الأدنى» (ifpo) من حكواتي شامي اسمه «أبو أحمد»، وهي اليوم محفوظة في دمشق. ثم توصل الى نسختين شاميتين أخريين، إحداهما من «مقهى الحجاز» في دمشق، والثانية من حكواتي اسمه «أبو حاتم».

ومنذ عام 2000، أطلق المعهد مشروع «سيرة الملك الظاهر بيبرس بحسب الرواية الشامية» فبدأ بنشر أجزاء السيرة في كتب

أريج أبو حرب

تشكّل السير جزءاً أساسياً من الروايات الشعبية في بلاد الشام. تتناقلها الأجيال وتتوارثها مضيئة عليها وحاذفة منها بحسب الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة. هي إذاً تحمل إرث البلاد الثقافي الشفهي، وتوثق أحداثاً تاريخية مرّت على المدن وطبعت ناسها. وللسير مكانتها الخاصة في المقاهي التي يرتادها الناس للاستماع إلى الحكواتي الذي يحتفظ بمخطوطات السير القديمة، فيرويها بأسلوبه التشويقي الخاص عبر جلسات عدة.

ولسيرة الملك الظاهر بيبرس (1223 - 1277)، أبرز ملوك الدولة المملوكية الذي حكم مصر وبلاد الشام وحارب غزوة الصليبيين والمغول عليها، قصص تعظمها الروايات الشعبية حتى يُقال بأن لكل مدينة في بلاد الشام ومصر رواياتها الخاصة عنه. ومن الروايات المعروفة عنه، تلك المصرية التي نُشرت في أواخر القرن التاسع عشر مختصرة السيرة الطويلة في كتاب واحد حيث نُفّحت القصة وأجترت منها الكثير بهدف تلخيصها.

وفي الثمانينيات من القرن العشرين، بدأ مشروع تجميع مخطوطات هذه السيرة في بلاد الشام عن طريق المصادفة. التقى الباحث الفرنسي جورج بوهاس بشفيق الإمام مدير متحف التقاليد الشعبية في «قصر العظم» في دمشق. ساعد الإمام بوهاس للوصول الى مخطوطة حلبية، فنشرها الأخير باللغة الفرنسية لصعوبة نشرها يومها بالعربية المحكية في دمشق. نُشرت هذه النسخة غير المكتملة والمؤلفة من 36000 صفحة في عشرة كتب عبر «دار سندباد» الفرنسية، وبعدها عبر «دار أكت سود» (Actes Sud) حيث كان يُفترض نشر مئة كتاب لتغطية أحداثها.



الحكواتي شادي الحلاق في مقهى «ة مربوطة»

شعر

شربل داغر طاقات جديدة في الحلم

عناية جابر

شعر الحلم، وشعر الصورة، يطبعان نتاجات الشاعر اللبناني شربل داغر المتوزعة على دور لبنانية وفرنسية ومصرية ومغربية وجزائرية. يرد داغر توزع إصداراته الى خياره الشخصي، والى الظروف التي تحكمت بمروحة النشر الواسعة هذه، وكانت بدايتها في فرنسا. أما ما نُشر له من «مختارات» شعرية، فعائدة الى رغبة الناشرين أنفسهم، سواء في مصر أو سواها. في مجموعتي داغر الأخيرتين «لا يصل الكلام بل بسير» و«على طرف لساني» (دار «ميم» و«دار العين»)، حوت القصائد ما يُشبه قصة، أو حكمة، تخفتا في السطور، كما لو أنّ الشاعر يتحاشى الكلام المفتوح على لاغائيته. لكن داغر يؤكد أن دواوينه تحوي القصائد المفتوحة على منتهاها، الى القصائد التي تتوسل السرد، ونبذات



تحيل الواقع على ما هو غير واقعي. قصائد تكمن قيمتها الأساسية في إثبات الاهتمام الذي يوليه داغر الى تقنية قصيدة النثر: «درجات سلم حجري/ للصعود أو للهبوط/ من دون أن يصعد أو يهبط/ أحد/ غير هواء الراحلين الذين لا يحتاجونه».

ما يهم التأكيد عليه في قراءة بعض نتاجات داغر، تلك الدعاية. كعنصر شعري. التي تجد مجالها الأكثر ملاءمة في نثره. هناك هذا المرح الفريد الذي يصعب إدراكه في الشعر المنظوم. وعند داغر تلك المحاولة لخلق لغة لاعقلانية تُد دلالاتها والأحداث التي تعرضها الى زمن ذي أبعاد عدة. نجد أيضاً استخداماً لأحد الأساليب الأساسية في الشعر المعاصر وهو التفكير وإعادة بناء الكلمات. من خلال هذه المعادلة، يسعى الشاعر الى إعادة المعنى الخفي للكلمات وحيويتها الإبداعية.

بالكتابة الشعرية». لا يسميها داغر كذلك، ف «البعض أطلق عليها هذه التسمية. هذا رأيهم. كما أنّ بعض المسرحيين أبلغوني صعوبة نقلها الى خشبة المسرح أو مسرحتها. أنا أتعامل مع القصيدة بالنثر وأعوّل على مرونتها وقابليتها لاستيعاب واستثمار أشكال الفنون كافة. في القصيدة التي يراها البعض عندي مسرحية، فيها من المسرح، الأصوات فحسب. وتجدين في نصي الأطول «ترانزيت» الممتد الى مئتي صفحة، الأشكال الكتابية كافة بما هي سرد ومحاور مسرحية ومناجاة».

يسعى شربل داغر في قصيدته الى تحرير الروح، والبحث عن طاقات جديدة في الحلم، من خلال قطعة، لا مع أشكال التعبير القديمة فحسب، بل أيضاً مع مجمل القيم المكتسبة وطرق التفكير. في قصائده، تلك الهذيانات الجنونية الضائعة ولو بدرجات متفاوتة، أو المهازل اللطيفة التي

من السيرة الذاتية، وقصائد الحياة نفسها بتفاصيل العيش البسيط والمزكّب. «شعري كثير، متنوع الأشكال والأساليب والأحجام إن شئت. عندي القصيدة القصيرة التي لا تتعدى السطر الواحد، وعندى تلك الطويلة التي تفوق الأربعين صفحة. الموضوع الشعري هو الذي يتحكم

إعادة المعنى الخفي للكلمات وحيويتها الإبداعية

بالشكل. لا أتعامل مع القصيدة بالنثر (هكذا يُسميها داغر) إلا بوصفها شكلاً مفتوحاً، وإصراري على انفتاحه، هو تحوّلها عند بعض الشعراء، الى شكل ثابت وممتد، كما لو أنهم يتجنبون استثمار حرية هذه القصيدة، وينصاعون بشكل أو بآخر الى عقلية عروضية ما زالت تتحكم